Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



من هنا أيضاً، كانت اللغات أكثر شيء دلالة في رسم طبائع المجتمعات وتميّزها. وما كان ذلك ليكون لها لو لم تكن نظاماً إشارياً. فهي تساهم به ومن خلاله في تكوين المجتمع الذي يتكلّمها، حتى لكأن المجتمعات فكراً وسلوكاً، رؤية وواقعاً، تعبير عن الخصوصيات اللغوية.

ومن هنا أخيراً، كانت اللغات هي النظام الذي يقرأ الإنسان فيه نفسَه، ويقرأ من خلاله نظام العالم الذي يعيش فيه. وهل كان ذلك ممكناً لو لم تكن اللغة «تؤثر على طريقة إدراكنا للعالم»، أو لم تكن «خالقة لصورتنا عن العالم»، وذلك كما يقول آدام شاف[1].

## 1 ـ الإنسان بين لغته وفكره:

الإنسان كائن لغوي. وهو أيضاً كائن مفكر. ولأنه كذلك، فهو لا يكف طوال حياته المعلومة عن أن يكون متكلّماً، كما لا يكف طوال بقائه حياً عن أن يكون مفكّراً. حتى لكأن اللغة والفكر هما شرط إنسانيته في حصولها فيه، وهما، في الوقت نفسه، شرط وجوده بقاء ودواماً.

إنهما إذن، صاحبان لا بدّ له منهما. ولقد نحسب لشدّة مزاحمتهما فيه، والتصاقهما به، وتمييزهما له أن وجوده ـ إذ بهما يقوم ـ لا ينقضي بينهما جدلاً: فكل يجاذبه ويدعي الأولوية فيه، وكل يرافقه ويزعم تكوينه على مثاله، وكل يبادله دوره ويجعلُه له ممثلاً.

والإنسان إذ يستشعر بهما معاً في خاصة نفسه، يخرج من «حريم البهيمية» إلى «حدّ الإنسانية» على حد تعبير الشهرستاني[2]، ومن وجوده المتناهي إلى بقائه غير المتناهي. وهكذا يكون الفكر واللغة علامةَ الإنسان وموضوعَه، ودليلَ بقائه بعد زواله ومدلولَه.